القيصر

القيصر

طه حسين

محمد طارق

السيرة الذاتية

تعريفها

فن من فنون الأدب مثلها مثل (الشعر - والرواية - والقصة القصيرة)
لكنها تختلف عنهم فى (أنها لا تقوم على الخيال وحده لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة مؤلفها
فهى قصة حياة مؤلف: يرويها بنفسه نثرا ويعتمد على ذاكرته فى استعادة تفاصيلها المنسية
يستعيد من ذاكرته : أحداثا وصورا - شخصيات وأماكن

سماتها

تكتب فى صورة رواية متماسكة الأحداث
لذلك يختارون أَحْدَاثًا ويهملون بعضها الآخر
صادقة:
تتسم بالصدق غَالِبًا ، ولا يعمدون إلى الكذب
سد فجوات الذاكرة
إضفاء بعض الرتوش على قصتهم يَضْطَرُّونَ للكذب لـ
إضفاء قدر من التماسك الفنى لتتخذ شكل الرواية
الحاضر:
تتأثر السيرة به فإذا كان قائما استدعى الأحداث القائمة من طفولته
وإذا كان أقرب للتحدي استدعى أَحْدَاثَ التَّحَدِّي

دورها

كَانَ لَهَا دورًا
فى نشأة الرواية العربية الحديثة
فكتب رواد الأدب سيرهم فى صورة روايات
فاحتلت هذه الروايات مكانها الراسخ
مثل كتاب:
الأيام ، لطه حسين
إبراهيم الكاتب ، لإبراهيم عبد القادر المازنى
عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، لتوفيق الحكيم

دوافع كتابتها

لطه
لِيَتَخَلَّصَ مِنْ بعض همومه وخواطره المحزنة
للمؤلفين:
مجرد الحنين للطفولة السعيدة
تقديم مثال يحتذيه الشباب
مراجعة الذات و التاريخ
تحدي الحاضر والرغبه فى الانتقام

سمات أسلوب طه حسين

لغته:
تتمتع بـ (إيقاع وموسيقا رنانة بسبب الجمل القصيرة اللوازم الأسلوبية المتكررة مثل
ضمير الغائب:
يستخدمه: بدلا من ضمير المتكلم فيسمى نفسه صاحبنا كأنه يتحدث عن
شخص آخر غريب عنه السبب يضفى نوعا من الموضوعية على قضية ذاتية
عالم قصصى بتفاصيله
الرسم :
فيرسم ويعتمد فى ذلك على حاسة السمع
و حواس أخرى غير البصر
فَيَجْعَلنا نرى الدُّنْيَا وَهُوَ ضرير من خلال
رهافة سمعه وتركيز عقله
قوة إرادته وحلاوة لسانه
تقوم كتابته :
على الحديث إلى قارئه أكثر مما يكتب
لذلك يخاطب القارئ ويجادله و يُؤثر فيه بكل الطرق الممكنة
فتشعر كأن القارئ يستمع لصوت طه

آفة العمى

أثرت تأثيرًا قاسيًا فى طه حسين السبب:
أَحَسَّ من أَهله رحمة له وَ إِشْفَاقًا عَلَيْه
أَحَسَّ من بعض النَّاس سخْرية منه و ازدرا له
تمنى طه:
أن يعرف أهله كَيفَ يَرْعُونَهُ دُونَ إِظْهَارِ رَحْمَةٍ أَو إِشْفاق
تَحَضُّر النَّاسِ فلا يَسْخَرُونَ مِنْ أَصْحَابِ الآفَات ولا يظهرون معاملة خاصة متكلفة
و لو حدث ذلك لعرف الصبى وأمثاله محنتهم فى رفق واستقامت حياتهم
تحداها طه
فَقَهرها لأنه لم يستسلم للحزن واليأس
مضى فى طريقه كما استطاع
فَيُسمى نفسه "صاحبنا"
ويقول هناك من قهرها أفضل منه و من انتصر عليها أفضل من انتصاره
أهداهم طه الكتاب :
فهو صديقهم المتأثر بمحنتهم
أصدقاء المحنة :
و تمنى أن يجدوا تسليتهم وتشجيعهم
لاستقبال الحياة مبتسمين جادين لِيَتَغَلَّبُوا على المصاعب
أن تحمل نصيبنا من شقاء الحياة ونؤدي ما خلقنا له
أن نحب ونفضل للناس ما نحبه ونفضله لأنفسنا
وألا نهتم برضا الناس أو غضبهم ، فلم تخلق لإرضاء الناس

محمد طارق

الفصل الأول

خيالات الطفولة

أول يوم في ذاكرة طه

يوم مجهول لا يذكر له اسم
لا يعرف فى: أي شهر - أو حتى سنة / ولا فى أي وقت من اليوم
إنما يرجح فى فجره او عشائه.

سبب الترجيح

لأن الهواء: بارد
النور: هادئ خفيفا حوله شئ من الظلمة
الحركة: مستيقظة من النوم أو مقبلة عليه

السياج

وهو سور من القصب
بينه وبين باب الدار خطوات
كان أطول من قامته فمن الصعب أن يتخطاه
متلاصقا لم يستطع أن يخرج من ثناياه
يمتد عن شماله حيث لا يعلم نهاية
يمتد عن يمينه إلى قنا عرفها عندما تقدم به السن
فكان يحسد الأرانب لأنها كانت تجتاز السياج وتقرض الكرنب

الشاعر حسن

إذا غربت الشمس استند على السياج مفكرا
حتى يسمع صوت الشاعر وهو ينشد فى نغمة (عذبة - غريبة)
كان ينشد أخبار (أبي زيد - خليفة - ودياب)

الناس

ساكتين
يهزهم الطرب
تستفزهم الشهوة فيتمارون ويختصمون
فيسكت الشاعر حتى يسكتوا ثم ينشد

الشعور بالحسرة

لأن أخته تأتي وتقطع عليه استماعه
تدعوه فيأبى فتحمله كالثمامة
تجري به إلى أمه وتضع رأسه على فخذ أمه
وتضع أمه سائلا فى عينه يؤذيه
والصبى يتحمل ولا يبكى حتى لا يقال أنه (شكاء - بكاء مثل أخته)
ثم تنيمه على حصير بسط عليه لحاف
فكان يمد سمعه فكاد يخترق الحائط ليسمع الشاعر فيأخذه النوم

ليل الصبي

يستيقظ والناس وأخواته نيام
فيكشف وجهه فى خوف وتردد
فكان واثقا أن العفاريت تعبث به لأنها تخرج إذا هدأت
الأصوات وأطفئت السرج
أصوات لا يهابها: الديكة – عفاريت تقلد الديكة
أصوات يهابها: أزيز المرجل – حركة متاع
خفيف يقل – خشبا يتقصم أو عودا يتحطم
وأشد الخوف من أشخاص يتمثلها:
تسد الباب – تتحرك كحركات المتصوفة
النتيجة: يلتف باللحاف فلا يجعل ثغرة
حتى الهوا – لأنه يمثل له الحصن الذي يحميه
فيقضى ليله فى هذه الأهوال والأوجال

أمان

يبدأ باستماع النساء يتغنين الله يا ليل الله بعد ملء جرارهن
فيعرف أن الفجر بزغ وهبطت العفاريت إلى مستقرها

صخب

فيتحول هو عفريتا
يتغنى بصوت عال نشيد الشاعر
ويغمز أخوته حتى يوقظهم
فيزداد الصياح والضجيج والعجيج
حتى يستيقظ الشيخ يتوضأ ويصلى ويقرأ ورده
فتعود الضوضاء إذا أغلق الشيخ الباب ذهابا إلى عمله

الفصل الثانى

ذاكرة الصبي

القناة المتخيلة

عالم آخر، تعمره كائنات غريبة لا تحصى منها:
التماسيح: التى تزدرد الناس
المسحورون: يعيشون تحت الماء
وفى الشروق أو الغروب طفوا يتنسمون الهوا
فذلك خطر على الأطفال
الأسماك العراض: تبتلع طفل فيظفر فى بطنها على خاتم سليمان
فيظهر خادمان من الجن يقضيان له ما يشاء
فأحب الصبى أن تبتلعه حتى يحمله الخادمان للشاطئ الآخر

ذاكرة الإنسان غريبة

لأنها:
(تستعرض أحداث الطفولة واضحة جلية حينا - وحينا يمحى بعضها كأنه لم يحدث)
يتذكر:
السياج والمزرعة
سعيد كوابس والكلاب
والقناة التى تنتهى إليها الدنيا
لا يتذكر:
مصير كل هذا
كأنه نام ثم أفاق فلم ير شيئا
وإنما رأى مكانهم: (بيوتا قائمة - وشوارع منظمة)

القناة الحقيقية

بينه وبينها خطوات معدودة
عرضها ضئيل الشاب النشيط يقفزها
لا يبلغ الماء إبط من ينزلها
حفرة مستطيلة يقطع عنها الماء أحيانا
(يلعب فيها الصبية - يبحثون فى أرضها عن السمك)

النتيجة

استطاع أن يتقدم يمينا وشمالا
يقضى ساعات من النهار على الشاطئ
مبتهجا بـ نغمات الشاعر حسن

مخاطر الشاطئ

عن يمينه: قوم من الصعيد اسمهم العدويون
على باب دارهم كلبان لا ينقطعان عن النباح
ينجو المار منهما بعد عناء
عن شماله: سعيد الأعرابى عرف (بشره - ومكره - وسفك الدماء)
وامرأته كوابس التى تؤذيه بخزامها إذا قبلته

عبوره القناة

(تذكر أنه عبر القناة على كتف أحد أخوته
ذهب ورا القناة فأكل توت -
ووصل إلى حديقة المعلم
فأكل تفاحا - وقطف نعناعا وريحانا)

الفصل الثالث

أسرتي

ترتيبه

سابع ثلاثة عشر من أبناء أبيه
خامس أحد عشر من أشقته

معاملة

أمه: (يحس برأفة ورحمة والإهمال والغلظة أحيانا)
أبيه: (كان لينا رفيقا – الإهمال والازورار)
إخوته: (يشعر بشى من الاحتياط
و كان يؤذيه هذا الاحتياط – لأنه مشوبا بالإشفاق والازدر

شعوره

أن له مكانا خاصا فى وسط هذا العدد الضخم
أكان هذا يرضيه أم يؤذيه؟
لا يتبين ذلك إلا فى غموض
لا يستطيع أن يحكم حكما صادقا

سبب المعاملة

أحس أن لغيره من الناس عليه فضلا
وإخوته
(يستطيعون ما لا يستطيع – يصفون ما لا يعلم – يرون ما لا يرى)
أمه
(تسمح لإخوته بأشياء – وتحظرها عليه)
شعوره
(كان ذلك يحفظه – وتحولت الحفيظة إلى حزن عميق صامت)

الفصل الرابع

مرارة الفشل

اللقب الجديد

لقب الشيخ
لأنه: حفظ القرآن ولم يتجاوز التاسعة
دعاه أبوه وأمه شيخا
تعود سيدنا أن يدعوه شيخا
(أمام والديه - أو حين يرضى عنه - أو عندما يترضاه)

غير جدير باللقب

الأسباب
قصيرا نحيفا
شاحبا زري الهيئة
ليس له من وقار الشيوخ شيئا
طاقيته تنظف يوما فى الأسبوع

شعور أبويه

تكبرا وافتخرا بهذا اللفظ - لا تلطفا به ولا تحببا إليه

النتيجة

مضى شهر وشهر وشهر
يذهب إلى الكتاب
[واثق بحفظه للقرآن - وسيدنا مطمئن لحفظه للقرآن]
عاد من الكتاب عصرا
دعاه أبوه بلقب الشيخ أمام صديقين له
طلب أن يقرأ سورة
الشعرا (استعاذ وسمى ولم يذكر إلا أولها)
النمل (مثل الشعرا لم يتقدم خطوة)
القصص (أخذ يردد طسم)
قال أبوه فى هدوء: (قم حسبك حفظت القرآن)

المكافأة:

أعجب بلقب الشيخ أول الأمر
انتظر أن يكون شيخا حقا (فيتخذ العمة - والجبة - والقفطان)
ولم يحصل على المكافاة
صعب إقناعه: بأنه أصغر من (حمل العمة - الدخول فى القفطان)
لأنه (صار شيخا - حفظ القرآن)

شعور الصبي

قام خجلا يتصبب عرقا
لا يدري أيلوم:
نفسه لأنه نسى القرآن
أم سيدنا لأنه أهمله
أم أباه لأنه امتحنه

الفصل الخامس

الشيخ الصغير

سيدنا مسرور

السبب:
تلا الصبى القرآن أمام أبيه كسلاسل الذهب
فرفع رأسه، وبيض وجهه، وشرف لحيته
اضطر أبو الصبى أن يعطيه الجبة
كان يحصن الصبى بالحى القيوم من النسيان

مكافأة الصبي:

استحق أن يدعى شيخًا
أعفاه سيدنا اليوم من القراة

القسم العجيب

أخذ سيدنا بيد الصبى ووضعها على لحيته
أحس الصبى بشئ (عريض - يترجرج - ملؤه شعر - تغور فيه الأصابع)
وقال له قل: والله العظيم ثلاثا وحق القرآن المجيد لا أهينها
فأقسم أن يتلو على العريف كل يوم ستة أجزا فى بداية كل يوم
وبذلك يقرأ القرآن كله كل أسبوع فى خمسة أيام عمل
وإذا فرغ يلهو ولا يصرف الصبيان عن أعمالهم .

العريف

أخذ عليه عهدا مثله
يسمع للصبى كل يوم ستة أجزا من القرآن
أودعه:
شرفه - كرامة لحيته - مكانة الكتاب فى البلد

صبية الكتاب

ينظرون - ويعجبون

محمد طارق

الفصل السادس

سعادة لا تدوم

انقطع

الصبى عن الكتاب

السبب :

فقيهاً آخر يختلف إلى البيت

يتلو الفقيه سورة

والصبى يقرأ معه ساعة أو ساعتين

النتيجة :

الصبى أصبح حرا يلهو متى انصرف الفقيه

يقابل رفاقه العصر:

ويقصون عليه ما يحدث فى الكتاب

وهو يلهو ويعبث بسيدنا والعريف

خيل إليه

أن الأمر انقطع بينه وبين الكتاب

ولن يعود أبدا ولا يرى الفقيه ولا العريف

النتيجة :

أطلق لسانه فى سيدنا والعريف – وأخذ يظهر عيوبهما

السبب :

سيعود أخوه الأزهري بعد أيام – ويصطحبه للأزهر

سعادة الصبي

لأنه متفوق على أصحابه : لا يذهب للكتاب مثلهم

يسعى إليه فقيه

متفرغ للعب

لأنه سيسافر إلى القاهرة

حيث الأزهر

وسيدنا الحسين

السيدة زينب

وأولياء الله الصالحين

السعادة لم تدم

لأن سيدنا لم يتحمل انتصار الشيخ عبد الجواد

وتوسل بفلان وفلان عند الشيخ

لانت قناة الشيخ وأمر الصبى بالعودة للكتاب

شقاء الصبي

السبب :

عاد كارها مقدرا ما سيلقاه من سيدنا

الصبية نقلوا كل ما سمعوا من الصبى

ولوم سيدنا والعريف طول الأسبوع

أمه: تضحك منه وتغري سيدنا بعقابه

إخوته يشمتون به ويعيدون عليه مقالة سيدنا

رد فعله :

صبر وجلد

لأنه سيفارق هذه البيئة بعد شهر

تعلم الصبي

الاحتياط فى اللفظ :

لأن الصبيان يغرونه بالشتم ويقربوا لسيدنا بنقله

الاطمئنان إلى وعيد الرجال

فالشيخ أقسم ولا ينفذ قسمه

وسيدنا يرسل الطلاق والقسم وهو كاذب

الفصل السابع

الاستعداد للأزهر

تأجيل السفر سنة أخرى

لأنه صغير لا يحب أخوه أن يحتمله
النتيجة : لم يحفل أحد برضاه أو غضبه

كيفية الاستعداد للأزهر

(يحفظ ألفية بن مالك)
مجموع المتون
(الخريدة - السراجية - الرحبية - لامية الأفعال - الجوهرة)
كان يعجب ويفخر بهذه الكتب
(لأن بها أصبح أخوه عالما - لأنها تدل على العلم)

مكانة الفتى الأزهري في القرية

يتحدثون بعودته قبل أن يعود بشهر
إذا جاء أقبلوا عليه فرحين مبتهجين متلطفين
الشيخ يشرب كلامه شربا ويلح عليه ليخطب
يتوسلون أهل القرية إليه أن يقرأ لهم درسا
يختارونه الخليفة كل عام

اليوم المشهود (يوم المولد)

كرمت القرية الفتى
اشتروا للفتى الأزهرى
(قفطانا - جبة - طربوشا - مركوبا)
لبس الفتى الأزهرى
(ثيابه الجديدة - عمامة خضرا - شالا من الكشمير)
أثناء خروجه من البيت
الأم تتلو التعاويذ و الدعوات
الأب مسرور بابنه
الرجال يحملونه على السرج و يحيطون به
البنادق تطلق و النساء تزغرد و البخور يعلو
يتحرك الحفل ويطاف به فى المدينة كلها

السبب

لأنه أزهري قد قرأ العلم وحفظ الألفية والجوهرة والخريدة

محمد طارق

الفصل الثامن

العلم بين مكانتين

قانون العرض والطلب

إذا ازداد المعروض فى الأسواق قل سعره و إذا قل غلا ثمنه
وهذا القانون سبب اختلاف نظرة أهل القرى والمدينة للعلماء

مقارنة بين العلماء

العلم فى القرى :
الناس:
يروحون بين الناس فى جلالة و مهابة
ويقولون فيستمع لهم الناس مع شئ من الإكبار مؤثر جدا
الصبى:
متأثرا بنفسية أهل الريف – يكبر العلماء و يجلهم
ويؤمن بأنهم فطروا من طينة نقية غير طينة البشر
العلم فى المدن:
الناس:
يروحون ويغدون فى القاهرة و لا يحفل بهم أحد
يكثرون فى القول دون أن يلتفت
اليهم أحد غير تلاميذهم
الصبى:
حاول أن يجد الإعجاب و الإكبار فى القاهرة فلم يوفق

كاتب المحكمة الشرعية

كان قصير القامة – ضخما – غليظ الصوت جهوري
كان يمتلئ شدقه بالألفاظ حين يتكلم
فشل فى الأزهر فلم يوفق فى العالمية
يعمل كاتبا فى المحكمة
له أخ قاضيا يفخر به . و يذم القاضى الذي هو معه
حنفى المذهب – متعصب بسبب قلة أتباعه و كان ذلك يغيظه
كثيرا ما كان يضحك منه أهل القرية
حاقد على الفتى الأزهري بسبب انتخابه خليفة

خطبة الجمعة

تهيأ الفتى الأزهري للخطبة
حيث أجهد نفسه فى حفظ الخطبة أيام متصلة
كان أبوه متشوقا لهذه الساعة مبتهجا
كانت أمه مشفقة عليه العين
نجح الكاتب فى أن يحول بين الفتى و المنبر
فغضب الشيخ و لعن هذا الرجل الذي أكل الحسد قلبه

العالم الشافعي (إمام المسجد)

كان معروفا بالتقى والورع
يتبرك الناس به لحد التقديس
فيلتمسون عنده شفاء مرضاهم.
كان يرى فى نفسه الولاية
اقتنع أهل القرية بأنه عندما نزل إلى القبر قال
اللهم اجعله منزلا مباركا
بعضهم قال أنه رآه فى الجنة فى أحلامه

المالكي (الشيخ التاجر) :

لم يتقطع للعلم ولم يتخذه حرفة
يعمل فى الأرض ويتاجر
يؤدي الخمس فى المسجد
يعطى دروسا فى الحديث وقت فراغه
متواضعًا ليس بمتكبر ولا فخور
لم يحفل به إلا الأقلون عددا

العلم اللدني

هو علم يهبط على قلبك من عند الله دون أن تحتاج إلى كتاب
أصحابه يذدرون العلماء لأنهم يأخذون العلم من الكتب
منهم الحاج الخياط:
د كانه يكاد يقابل الكتاب
يتصف بالبخل والشح
كان متصلا بشيخ من أهل الطرق الصوفية

بمن تأثر الصبي

كان يأخذ عنهم جميعًا
فاجتمع له مقدار كبير من العلم
(مختلف - مضطرب - متناقض)
عمل كل ذلك فى تكوين عقله الذي لم يخلو من
الاختلاف - الاضطراب - التناقض

الفصل التاسع

سهام القدر

أيام الصبي

بين (البيت وبيت المفتش - والكتاب والمحكمة والمسجد - ومجالس العلم وحلقات الذكر)
حال الأيام (لا حلوة ولا مرة - تحلو حينا وتمر حينا - ولكنها فاترة سخيفة)

الاستعداد للعيد

أمه
(تهيئ الدار - وتجهز الفطير)
إخواته
(كبارهم يذهبون إلى الخياط أو الحذا - صغارهم يلهون ويلعبون)
طه
ينظر لهم بفلسفة خاصة
يخلو لنفسه فيعيش فى عالم من الخيال
يستمده من القصص والكتب

أخته

صفاتها:
فرحة الوجه - خفيفة الروح - أصغر من فى الأسرة فى الرابعة - فصيحة اللسان قوية الخيال
تتحدث إلى الحائط كما تتحدث أمها إلى زائرتها - تبعث روحا فى كل لعبة - والأسرة تجد لذة
فى سماعها - لعبة امرأة وأخرى رجل وهذا فتى وهذه فتاة)
مرضها:
أصبحت فاترة هامدة محمومة يوما ويوما ويوما
السبب الإهمال :
لكثرة العدد
الفلسفة الآثمة لنساء القرى ومدن الأقاليم
لا تعتنى الأم بالطفل وتعتقد أنه يوم وليلة ويفيق ويقدرون الطبيب
هكذا فقد صبينا عينه بالغذا لا العلاج
ملقاة على الفراش تعتنى بها أمها وأختها
موتها: تصيح الطفلة صياحا منكرا فى عصر اليوم الرابع
تتلوى وترتعد فى ذراع أمها ويتصبب وجهها عرقا
الأم والشبان والصبيان واجمون، الأب يهمهم بآيات
وساعة العشاء لم يمد أحد يده وترفع المائدة كما هى
يهدأ صياحها ثم ينقطع نفسها
أثر الموت :
الأم والبنات:
يولولن ويخمشن الوجوه - يصككن الصدور
الأب:
انهمرت دموعه - لا ينطق بحرف
الأخوة:
(يتفرقون فى الدار - قست قلوب بعضهم فنام - ورقت قلوب بعضهم فسهر)

مصائب أخرى

أشهر فقد الشيخ أباه
أشهر وفقدت الأم أمها .
فلبست الأسود ولم تتذوق للفرح طعما
فاستمر الحزن الذي ابيض له شعر الأبوين

وباء الكوليرا

قتل أهلها ودمر مدن وقرى، ومحا أسرا كاملة
فأغلقت المدارس وانتشر الأطباء فى كل مكان
والخوف ملأ النفوس فكل أسرة تتحدث بما أصاب الأسر الأخرى
و كانت الأم كل يوم تسأل نفسها ألف مرة بمن تنزل النازلة

أخوه

وصفه:
حصل على البكالوريا فانتسب إلى مدرسة الطب ينتظر السفر للقاهرة
فى الثامنة عشر جميل المنظر
نجيب ذكى القلب، صافى الطبع بار بأمه ورؤوف بأبيه
شارك الأطباء فى مقاومة الكوليرا
مرضه:
اشتكى من بعض الغثيان فجلس مع أبيه وحدثه
ثم ذهب مع أصحابه شاطئ الإبراهمية
اشتد عليه فى منتصف الليل وحاول مقاومته حتى لا يشعر به أحد لكنه لم يستطع
فعرف الوباء طريق الدار الأب : كان جديرا بالإعجاب رزينا هادئا مروعا قلبه مفطور
واسى أباه وذكره بموت النبى عليه السلام
الأم مروعة جلدة مؤمنة تلح بالدعاء
أقبل الصبح وأخذ يشكو من ألم فى ساقيه
طلب أن يبرق لأخيه الأزهري وإلى عمه
موته:
انصرف الطبيب يائسا
أخذ يئن أنينا يخفت شيئا فشيئا حتى الموت
وإن الصبى لينسى كل شئ قبل أن ينسى هذه الأنة
فكان منزويا فى ناحية من هذه الحجرة
أثر الموت:
الأم: (انتهى صبرها لم تكد تقف حتى هوت - انبعث من صدرها شكاة انخلع قلب الصبى بها)
الأب: (لا يجلس إلى عشاء أو غدا إلا ويبكى)
أخوته : يجهشون بالبكاء جميعا
الأسرة : (تعودت زيارة المقابر - و كانت تعيب من يزورها

تغير نفسية الصبي:

عرف الله حقا فحرص أن يتقرب بكل الألوان
الصدقة - الصلاة - تلاوة القرآن
أخوه مقصر فى الواجبات الدينية فقرر (يصلى مرة لنفسه ومرة لأخيه - يصوم شهر لنفسه وشهر لأخيه - يطعم فقيرا أو يتيما مما تصل إليه يده - يقرأ سورة الإخلاص آلاف المرات ويهبها لأخيه - يصلى على النبى ويهبها لأخيه) - ألف الشعر حزنا على أخيه فأرق الليل
عرف الأحلام المروعة فكانت علة أخيه تتمثل فيه - ظل يحلم أعواما ولم ينسه أبدا ولا أمه

الفصل العاشر

بشرى صادقة

قول الأب
ستذهب إلى الأزهر فتصبح مجاورا
أمنية الأب :
يصبح الصبى من علماء الأزهر - والفتى الأزهري قاضيا

أثر ذلك على الصبي
لم يصدق ولم يكذب
ينتظر تصديق الأيام أو تكذيبها
فكثيرا ما وعده بذلك

صدق الوعد
فيتأهب الصبى للسفر
يري نفسه فى المحطة جالسا القرفصاء حزينا
يشجعه أبوه ألست رجلا ؟ غير قادر على فراق أمك

سبب الحزن
لم يكن حزينا لفراق أمه ولا لأنه لن يلعب
إنما يتذكر أخاه الفتى الطبيب الذي كان يحلم أن يكون معه
لم يفصح بالسبب حتى لا يحزن الجميع فتكلف الابتسام

في رحاب الأزهر
صاحبنا فى القاهرة يستقبله المجاورون وأكلوا ما حمله من الطعام.
خطبة الجمعة فى الأزهر
لا فرق بينها وخطبة الريف
والصلاة ليست أطول ولا أقصر من الريف
الفرق : خطيب القاهرة فخم القافات والراءات
فعاد الصبى خائب الظن

موقف الصبي من العلوم
ليس بحاجة إلى دراسة القراءات والتجويد لأن أخاه لم يدرسها
فيكفيه أن يكون مثله
أراد أن يدرس
الفقه - النحو - المنطق - التوحيد
قال الفتى الأزهري يكفيك هذه السنة
الفقه - النحو

الشيخ عابدين علي الدر
كان قاضيا للإقليم وأصبح من علماء الأزهر
سمع اسمه ألف مرة ومرة من أبيه
وكان يسأله عن الشيخ عند عودته
وسمع الاسم من أمه وتذكر امرأته
هو جاء حمقاء
جلفة (جافة)
تتشبه بأهل المدينة وما هي منهم
كان الشيخ يفخر بمعرفة ابنه الأزهري.
فالفتى الأزهري من خاصة تلاميذه
يحضر الدرس العام ثم الخاص فى بيته
يتخذوا ليعملوا معه فى كتبه التى يؤلفها
يقلده الفتى فيضحك أبوه فى إعجاب

الفصل الحادى عشر

بين أب وابنته

الابنة

سماتها:
ساذجة سليمة القلب طيبة النفس
فى التاسعة من عمرها
الأب والأم مثل أعلى لها
اعتقادها :
أن أباها خير الرجال وأكرمهم وأنه خير الأبناء
أنه كان يعيش كما تعيش أو خيرا
تحب أن تعيش كما عاش أبوها وهو فى الثامنة

إخفاء الحقيقة

فإن فعل :
لكذّب ظنها وخيب أملها
وفتح على قلبها ونفسها بابا من الحزن
وحتى لا تجهش بالبكاء شفقة عليه كيوم حدثها عن أوديب
أوديب :
ملك فقأ عينيه
لا يدري كيف يسير
ابنته أنتيجون ترشده
فتغير لونها وبكت لأن أباها مثل أوديب
انكبت عليه تقبله
جاءت الأم وهدأت من روعها
حتى :
يتقدم بها السن
فتستطيع أن تقرأ وتفهم وتحكي
فتعرف أن أباها أحبها حقا
واجتهد فى إسعادها
ووفق بعض التوفيق إلى أن يجنبك طفولته وصباه
وهو لا يحب الشفقة أو السخرية

يحكي بعض طفولته في الثالثة عشر

هيئته:
فقير معمل الذي تقتحمه العين لأنه
معمل – شاحب اللون
عباءته قذرة وبصر مكفوف
طاقيته استحال لونها الأبيض إلى سواد قائم
قميصه ملون بألوان الطعام الساقط عليه
ونعله المرقع
فحاله رثة حقيرة، لكنه : واضح الجبين
مبتسم الثغر
لا يتردد فى مشيته مسرعا إلى الأزهر
مصغيا كله للشيخ يلتهم كلامه التهاما
لا يميل إلى اللهو راضٍ بحياته .
أكله:
يقضى اليوم والأسبوع والشهر والسنة
يأكل عسل أسود وخبز الأزهر ملح
بـ (ضروب من القش – ألوان من الحصى - فنون من الحشرات)
حاله :
جادا مبتسما محروما لا يشعر بالحرمان
لا يشكو ولا يفكر حتى فى حاله
وإذا عاد إلى أبويه : (ينظم لهما الأكاذيب - فيعيش فى رغد العيش وفى أحسن حال - ولا يعلم أبواه أن أخاه يفضل نفسه بقليل من اللبن)

تغير حياته

(شكله مقبولا لا تقتحمه العين - هيأ لها ولأخيها حياة راضية)
أصبح مشهورا : (رضى عنه البعض – وغضب وحقد الآخرون)

زوجته الملاك

فضلها على الابنة : تعيها هدوء الليل وبهجة النهار
فضلها على الكاتب : بدلت حياته (من البؤس إلى النعيم – من اليأس إلى الأمل – ومن الفقر إلى الغنى – من الشقاء إلى السعادة)
فهما الاثنان مدينان ولا يستطيعوا رد الدين

الفصل الأول

من البيت للأزهر

الصبي في القاهرة
أقام فى القاهرة أسبوعين أو أكثر
فترك الريف طلبا للعلم
يقضى يومه فى ثلاثة أطوار يتخيلها ولا يحققها
(البيت - الطريق - الأزهر)

البيت
كان غريبا والطريق إليه غريب
ينحرف إليه نحو اليمين وهو عائد من
الأزهر - يدخل من باب يفتح بالنهار ويغلق فى الليل
فى وسط الباب فجوة ضيقة تفتح بعد صلاة العشاء

الطريق المسقوفة
إذا تجاوز هذا الباب أحس عن يمينه حرا
ودخانا يداعب
خياشيمه
وصوتا غريبا يتعجب منه ويستحى أن يسأل عنه
عرف أنه قرقرة الشيشة
أرضه رطبة لا تستقر فيها القدم
لأن صاحب القهوة يصب فيه الماء

الطريق المكشوفة
مساحته: (ضيقة قذرة)
رائحته:
(غريبة معقدة - هادئة فى أول النهار
عنيفة مع تقدم النهار وشدة حرارة الشمس
استقامته:
(ينحرف به أخوه يمينا وشمالا)
أصواته:
(عالية وتأتيه من كل مكان - النساء يختصمن - الرجال يتنادون -
السقاء يتغنى ببيع الماء - الحوذي يزجر دابته نهيق الحمير وصهيل الفرس -
العربات تئز والبضائع تحط وتحتمل)
حال الصبى: (كانت خطاه رقيقة قلقة - مشرد النفس)

السلم
إذا سمع أحاديث تأتى من باب عن الشمال
عرف أنه سينحرف بعد خطوة أو خطوتين إلى الشمال ليصعد السلم
يصعد تاركا أول طبقة يسكنها الباعة
صنع من الحجر وكان متوسطا
تراكم عليه التراب حتى أصبح طينا
لم يكن يعد الدرج لقذارته وشعوره بالاختناق

الطبقة الأولي
علم أنه لابد أن ينحرف نحو الشمال
تاركا اليمين فيعلم أنها تودي إلى الطبقة الأولى
فيسكنه العمال والباعة

الطبقة الثانية
يجد فيه الراحة (من الهوا الطلق بعد أن كاد يختنق من السلم
القذر - ومن صوت الببغاء)
الببغاء: (كانت تصوت فى غير انقطاع - تشهد الناس على ظلم صاحبها الفارسي
- لأنه حبسها فى القفص ليبيعها ويشتري بدلها)
الفارسيان: (أحدهما شاب والآخر عجوز - أحدهما شرس غليظ والآخر طيب رقيق

غرفته
أشبه بالدهليز فيها المرافق المادية
تنتهى به إلى غرفة ثانية فيها
المرافق العقلية - فهى غرفة النوم والطعام والقراة والدرس........الخ -)
مجلسه: (على شماله - حصير ألقى عليه - بساط - وسادة - لحاف)
مجلس أخيه:
(يحاذي مجلسه - أرقى قليلا من مجلس الصبى - به حشية من
القطن فوقها ملاءة - وسائد مرصوصة يستند عليها هو وأصفياؤه

محمد طارق

الفصل الثانى

حب الصبي للأزهر

الطور الأول

فى غرفته
كان يشعر بالغربة
(لأنه لا يعرفها ولا يعرف محتوياتها – على عكس بيته الريفى
كان لا يجهل منها شيئا)
ويشعر بالضيق – من هوائها الثقيل – ويشعر بالألم)

الطور الثاني

فى الطريق
كان مشردا مفرق النفس ضالا مضطرب
الخطى حائرا مصروفا عن نفسه
بسبب الأصوات والحركات المضطربة
مستخذيا – خجلا فى نفسه
بسبب عجزه عن ملاءمة خطوات أخيه

الطور الثالث

فى الأزهر
يجد راحة و أمنا وطمانينة واستقرارا
يسعد بنسيمه على جبهته الذي يشبه
قبلات أمه
عندما يقرأ لها بعض الآيات أو يمتعها بقصة
تمتلئ نفسه إكبارا وإجلالا
يلتمس البركة من أرضه المطهرة

شعوره تجاه العلم

كان شعورا غامضا قويا بأن العلم لا حد له
لأنه سمع من أبيه أن العلم بحر لا ساحل له
فيريد أن يشرب منه حتى يموت فيه غرقا
يريد قضاء حياته ليبلغ من العلم أكثر ما يستطيع
وهذه الخواطر تنسيه : (الغرفة - الطريق – حتى الريف)

الأزهر فجرا

كان هادئا والأحاديث هامسة
القرآن يتلى بصوت هادئ معتدل
وصوت الأستاذ فاتر هادئ
فأصوات الفجر:
فاترة حلوة فيها بقية النوم – دعاء للمؤلفين يشبه الاستعطاف

الأزهر ظهرا

الأصوات
كانت قوية عنيفة فى شئ من الكسل
ممتلئة تصور امتلاء البطون
هجوم على المؤلفين يوشك أن يكون عدوانا

أصول الفقه

(كان يجلسه أخوه ليستمع درسا فى الحديث
وأخوه كان يدرس أصول الفقه
أستاذه : الشيخ راضى – من كتاب : التحرير للكمال بن همام
عند سماعه هذه الألفاظ
: (يمتلئ قلبه رهبا ورغبا وإجلالا – يزداد حبه يوما بعد يوم –
يشتاق أن يكبر ستة أو سبعة أعوام ليفهم – ويسمعها ولا يفهمها)

الحق هدم الهدم

هذه الجملة أرقته ونغصت عليه حياته
فتدور فى رأسه كهذيان الحمى
وصرفته عن دروسه اليسيرة
عنها بأشكال من إشكالات الكفراوي

درس الحديث

يفهمه بوضوح
ولكنه يضيق بالعنعنة
فإذا وصل إليه ألقى إليه نفسه – فيحفظه ويفهمه
يعرض عن التفسير فكان يعلمه من الريف

درس الفقه

صاحبه يأخذه من يده بغير رفق ويضعه مثل المتاع
فيفهم الصبى أنه قد نقل إلى درس الفقه
ثم يجلس منتظرا أخاه حتى يعود من درس الشيخ بخيت
فيجلس للضحى لأن : (الشيخ بخيت يحب الإطالة – ويسمح لطلابه بالجدال
ثم يأتى أخوه فيجذبه ويعود إلى الغرفة فيلقيه – فيتهيأ الصبى لاستقبال حظه من العذاب

محمد طارق

الفصل الثالث

وحدة الصبي في غرفته

قبيل العصر

الوحدة
(مصدر عذاب الصبى - أخوه يتركه فى الغرفة ويذهب للجماعة)
مجلس الجماعة:
(لا يستقر عند أحدهم صباحا وثان مساء وثالث ليلا - يقضون
وقتا فى التندر بالشيوخ والطلاب - وضحكاتهم تملأ الربع وتصل للصبى)
الصبى:
(جاثم فى مكانه - تبتسم شفتاه ويحزن قلبه لأنه - لا يسمع كما كان
يسمع فى الضحى - لا يستطيع أن يشاركهم)

شاي العصر

يجتمع الفتى وأصحابه حول الشاي بعد الراحة والتندر
ويكون حديثهم هادئ منتظم حول ما كان فى درس الظهر)
الإمام محمد عبده:
يتحدثون عنه
(وعن نوادره ودروسه من كتاب دلائل الإعجاز -
و يحفظون رأيه فى الشيوخ ورأي الشيوخ فيه - ويحفظون أجوبته المفحمة)
مشاعر الصبى
:(كان محبا لهذا كله يشتاق إلى كوب شاي . لا يطلب من أخيه
الإذن أن يحضر معهم: حتى لا يؤذيه رده)
ويظل قابعا ويكتم عن أخيه:
(حاجة عقله للعلم - حاجة أذنه للحديث - حاجة جسمه للشاي)
و كانت ضحكاتهم وأصواتهم تثير فى نفسه: (الرغبة - الرهبة -)
لا يستطيع أن ينتقل من مكانه لأنه يستحى أن يفاجئه:
(أحد المارة - أو أخوه فيسأله لماذا قام)
ذكريات الريف:
(كان يحن إلى منزله فى قريته ويتحسر عليها)
عودته من الكتاب
(بعد أن لعب - فيأكل كسرة خبز - يقص على أمه أنباء يومه فى الكتاب)
حانوت عبد الواحد وولده محمود: (فيستمع لما يقوله المشترون)
ويجلس على المصطبه:
يسمع حديث أبيه وأصحابه يقرءون كتابا
ويخلو لصديقفلم يكن يشعر بالوحدة أو الحرمان
جامع بيبرس:
(صوت المؤذن كان منكرا - يذكره بأذان الريف الذي كان - لا
يعرف الطريق للمئذنة) - يشارك فيه بالدعاء - ويصعد للمئذنة)
السكون:
(يطول فيسلم نفسه للنوم - و كان يكره نوم العصر لأنه مؤذ كما يسمع من أمه)

طعامه

(يهب مزعورا على صوت أخيه ليعطيه العشاء
رغيف بالجبن الرومى أو الحلاوة الطحينية
يقبل الصبى عليه راغبا عنه حينا و راغبا فيه حينا
يقل منه إذا أكل مع أخيه لأن أخاه لم يسأل عنه
وحين يأكل بدون أخيه يأتى عليه كله
(حتى لا يظن أخوه به المرض - أو يظن
الحزن - وهو يكره أن يثير فى نفس أخيه قلقا

الظلام

يعرف دخولها بأذان المغرب - تمنى أن يضاء له مصباح ليطرد الظلمة
يجد فيه جليسا ومؤنسا على عكس ما يظن المبصرون
لها صوت يشبه طنين البعوض
فكان يجلس القرفصاء ويخفى رأسه بين يديه

السكون

سكون العصر كان يسلمه للنوم
سكون العشية تضطره لليقظة المخيفة

غرف الأوقاف

قديمة
مليئة بالشقوق فى الجدران
عمرت بالحشرات وصغار الحيوانات

الحشرات

أصواتها وحركاتها كانت تفزعه
تنقطع عندما يقبل أخوه ويضئ المصباح
لا يجرؤ أن يذكر ذلك أمام أخيه:
حتى لا يسفه برأيه - أو يظن بعقله وشجاعته الظنون
فكان يخفى خوفه

العشاء

أذان العشاء يثير فى نفسه أملا قصيرا يتبعه يأس طويل
لأن أخاه يأتى يضئ المصباح ويأخذ ما يحتاجه فيأنس الصبى به
فيلقى إليه الوسادة واللحاف ويرى التفافه فى اللحاف:
(فيطفئ المصباح - وينصرف - ويغلق الباب بالمفتاح)
يعود بعد ساعتين أو أكثر فيظن الصبى مغرقا فى النوم
يشعر بالأمن عندما - يستلقى أخوه على الفراش - فينام هادئا مطمئنا

الفصل الرابع

الحاج علي وشباب الأزهر

صوتان غريبان

الأول: (صوت عصا غليظة تضرب الأرض بعنف)

الثانى: (صوت إنسانى متهدج مضطرب)

يذيع: (فى الليل العادئ الاضطراب)

يدنو: (من الصبى ويضعف شيئا فشيئا حتى ينقطع)

شعور الصبى: (ارتاع الصبى حين سمعهما لأول مرة – يحث عند مصدرهما ولم ينجح

لا يجرؤ أن يسأل أخاه أو غير أخيه – يطمئن عند سماع المؤذن :

الصلاة خير من النوم – وما هى إلا دقائق ويكونان فى طريقهما إلى الأزهر

ليلة الجمعة

يوقظه الصوتان كالعادة ولكن لا يهب لأنه إجازة

أما أخوه لا يصحو من هذا الصوت فى أي يوم

يظل الصبى فى فراشه:

(ضائق بفراشه – عاجز عن الحركة – حتى تنتشر الشمس)

يسمع الصوتان مرة أخرى ويتعجب

لانه يسمعهما هادئين حينما يستيقظ الناس ويعنفان حين يسكن الليل

الباب يطرق طرقا عنيفا

(هلم يا هؤلاء – أعوذ بالله من الكفر والضلال)

وصوت مرتفع ساخط

: (طلاب علم لا يؤدون الصلاة لوقتها – أمسلمون أنتم أم كفار

صياح صاخب

: (ويد هذا الصوت تقرع الباب وعصا تقرع الأرض – ومن حوله

ضحكات ترافقه – والفتى يصحو مغرقا فى الضحك)

الحاج على الرزاز

عرف الصبى: (أنه صاحب الصوتين)

عمره: شيخا جاوز السبعين

صحته: محتفظا بقوة عقله وجسمه لا يعرف الهمس نشيطا عنيفا

عمله: تاجر أرز لذلك سمى الرزاز – ترك التجارة أو تركته – اعتمد على بيت يؤجره

أخلاقه: يتكلف (التقوى والورع)

أمام الناس:

(يصبح مسبحا ذاكرا الله – ضاربا الأرض بعصاه حتى يبلغ المسجد –

يجهر بالقراءة والتكبير

مع الشباب:

(أطولهم لسانا لا يتحفظ فى لفظ – يتتبع عيوب الناس – أظرفهم نكتة

– لسانه منطلق بأشنع الألفاظ)

علاقة قوية

نشأ بين الحاج على والشباب مودة حلوة متينة

كان يحب منهم: (حبهم للعلم – وجدهم فى الدرس – وصدوفهم عن العبث)

وهم يحبونه لأنه: (يفتح لهم بابا من اللهو – يضحكون على بذائته – لا يعيدون ما

يسمعون منه من بذاءة – يرون شيئا يعجبهم فيه

– يدبر لهم طعامهم ولهوهم يوم الجمعة

الصبى: (يتعجب كيف يجتمع طلب العلم مع هذا الهزل – عاهد نفسه ألا يسير

سيرهم إذا شب إلى سنهم)

كان معجبا بـ:

(كظمهم للشهوات – أخذ النفس بالشدة – عدم تورطهم فى العبث السهل

يوم البطون

الإفطار: غزير دسم صاخب (فول وبيض – شاي وفطائر جافة)

ويتذكر الصبى جهد أبيه وجد أمه فى صنع هذا الزاد

فيلوم على الشباب نسيان فضل من أعده

العشاء: كان الصبى يخجل منه وعندما كبر وجد لذكراه حنانا وإعجابا

يبدأ بالمشاورة وهما صنفان (بطاطس، لحم طماطم، بصل .

او: قرع لحم، طماطم، بصل، حمص

ثم الإعداد: ثم تقسيم الحاج على الطعام فى معركة ضاحكة

الصبى: خجول مضطرب: (لا يحسن قطع اللقمة – ولا غمسها فى الطبق – ولا

أن تبلغ فاه

يزداد اضطرابه: (إذا خيل له أن الشيخ يرقبه – أو تشجيع الرفاق له بالطعام

شعوره: (أثناء الطعام كان يتألم – يضحك وحده إذا خلا لنفسه

وفاة الحاج علي

الجماعة:

تفرقت، وتركوا الربع، واستقروا فى أماكن متباعدة

قلت زيارتهم له ثم انقطعت ثم تناسوه ثم نسوه

الخبر:

ذات يوم حمل إليهم نعى الشيخ فحزنت قلوبهم .

الصبى:

كان يعترض على ألفاظه، ظله ثقيلا عليه .

علم أن آخر كلمة نطقها دعاء لأخى الصبى فغير رأيه

محمد طارق

الفصل الخامس

الإمام محمد عبده والأزهر

ساكن الغرفة

غرفته:

(من غرفات الربع على شمالك إذا صعدت السلم - مصدر فكاهة الشباب)

وصفه:

أكبر من الطلاب وأقدمهم بالأزهر نحيف الصوت فتسمعه تضحك

ضيق العقل قصير الذكاء ومع ذلك واسع الثقة بنفسه

كان لراحته مؤثرا فلا يذهب لدرس الأصول فجرا

أكثر منهم مالا يبخل على نفسه أمامهم وأمامهم ينفق

الإمام محمد عبده

الشباب يضيقوا بكتب الأزهر تأثرا برأيه إذا دلهم على كتاب:

يسرعوا إلى شرائه

وإذا أعياهم استعاروه من مكتبة الأزهر

فيقرءوه جماعة ويفهموه

هذه الكتب بغيضة لشيوخ الأزهر لأن

(الإمام من دل عليها - ولم يؤلفوها)

رغبة الشباب للعلم

يدفعهم لذلك الإمام محمد عبده

كانوا يفخرون ويملئون أفواههم بأنهم تلاميذ

الإمام

الشيخ بخيت

الشيخ راضى

الشيخ أبى خطوة

ويزورون الشيوخ فى بيوتهم

يشاركوهم فى الأبحاث ويستمعوا دروسا خاصة

مكانتهم العلمية

عرفوا بأنجب طلاب الأزهر وأخلقهم بالمستقبل السعيد

يسعى إليهم أوساط الطلاب يلتمسون

التفوق والامتياز - وسيلة للاتصال بالشيوخ

غرورهم حبب إليهم هذا النوع من الامتياز

إذا خلوا لأنفسهم أحصوا على زملائهم

جهالاتهم

سخافاتهم

أغلاطهم الشنيعة

الشباب وساكن الغرفة

شاركهم فى: بعض الدروس والشهرة - الشاي والزيارات

لم يشاركهم: العلم والفهم - فانقطع عن العلم

يساعدهم فى:

أداء دين

شراء كتب

قضاء حاجة ملحة

لا يطيقون جهله: فيضحكون عليه - يردونه فى عنف

علم العروض:

دائما يرد الشاهد لبحر البسيط

ويظهروا العجز على تقطيع الشاهد فيسألوه فيرده للبسيط

فيضحكوا ويستهزئوا وهو راض يبتسم ولا يغضب

ساكن الغرفة والصبي

أظهر الشاب عطفه على الصبى

فتقدم الصبى فى السن والدرس

عرض الشاب على الصبى أن يقرأ معه الكتب

رفض الصبى لأنه: لم يجد عنده نفع - وليس فارغا للضحك والتندر

فترك الشاب العلم مشاركا

لأصحابه اجتماعيا

رقي حياة الشباب اجتماعيا

فرقاها: ذكاؤهم وجدهم وتفوقهم - رضا الإمام عليهم

فاتصلوا بأبناء الأسر الغنية التى تطلب العلم

شعور الشباب: لا يحسون هذا الارتقاء - ولا يتحدثون عنه - ويرونه شيئا مألوفا

شعور ساكن الغرفة: كان يزور ويزار - يراه المجد كل المجد - يستمد منه الغبطة والسرور يستغله لمنافعه المادية - ويتحدث عنه ويفخر به

وقيعة ساكن الغرفة

خرج الإمام من المحنة السياسية

اضطرب الأزهر لاختصام السلطتان

اتصل الشاب بالمضربين وبالخصوم ويفشى أسرار المضربين

انكشف أمره وقطع الجميع صلته

ردته البيوت التى كان يزورها

خسر الناس ولم يخسره أحد

موته

أنبأ المنبئ يوما بأنه مات

أمات من علة ؟

أمات من حسرة؟

أمات من الحرمان

أصدقائه سمعوا النعى: لا يحزنوا - ويتلون: إنا لله وإنا إليه راجعون.

محمد طارق

الفصل السادس

انتساب الصبي للأزهر

تأثر الصبي بالربع

اجتماعيا: اكتسب علم بشئون الحياة وشئون الأحياء وأخلاقهم

علميا: اكتسب فى الأزهر علوم الفقه والنحو والمنطق والتوحيد

الاستاذ الجديد

علميا:

- معروف بالتفوق مشهور بالذكاء
- حصل على العالمية بالدرجة الثانية وعد هذا ظلم
- ذكاؤه مقصور على العلم ساذج فى الحياة العملية
- بلغ الأربعين من عمره

اجتماعيا:

- محب للذاته فيتهالك على اللحم
- صوته متهدجا متكسرا غريبا تنفرج شفتاه بمبالغة
- لبس الفرجية فأضحك الطلاب والأساتذة خصوصا وهو حافى النعل
- يصطنع الوقار فى الشارع مهرولا فى الأزهر
- عرفه الصبى أول مرة بأنه دهس يد الصبى بسبب هرولته

منهج الأستاذ

بارع فى العلوم الأزهرية ساخطا على طريقة تعليمها

أثرت تعاليم الإمام فى قلبه لا أعماقه

لا مجدد خالص ولا محافظا خالصا بين ذلك

فكان الشيوخ:

- ينظرون له شزرا
- يلحظونه بشك ويشفقون عليه

منهجه فى الفقه:

- لن يقرأ من كتاب مراقى الفلاح
- سيعلمهم فى غير كتاب بقدر ما فى مراقى الفلاح
- فعليهم أن يسمعوا ويفهموا ويكتبوا

منهجه فى النحو:

- لم يقرأ شرح الكفراوي
- لم يعلمهم الأوجه التسعة فى قراة واعراب البسملة
- إنما هيأهم للنحو تهيئة حسنة
- عرفهم الكلمة والكلام والاسم والفعل والحرف
- فكان درسه سهلا ممتعا

عرض الصبى منهجه على الشباب :

- أثناء شاي العصر
- فرضوا عنه وعن منهجه
- وأقروا طريقته فى التعليم

الصبى:

- ظل يختلف إلى درسى النحو والفقه
- و كان يتساءل متى يقيد فى سجلات الأزهر

نبأ الامتحان

أنبئ الصبى بامتحان فى القرآن توطئة لانتسابه إلى الأزهر

لم يراجع القرآن منذ وصل القاهرة فلم يكن مستعدا

ولو علم لقرأ القرآن على نفسه مرة أو مرتين

شعوره

- فكان يخفق قلبه خوفا
- شعر بالألم والحسرة عندما دعاه أحد الممتحنين أقبل يا أعمى

الامتحان

جلس أمام الممتحنين وطلب منه تلاوة سورة الكهف ولم يمض فى الآيات الأولى

وطلب منه تلاوة سورة العنكبوت ولم يمض فى الآيات الأولى

وقيل له انصرف يا أعمى فتح الله عليك

شعوره:

- دهش لهذا الامتحان الذي لا يدل على حفظ
- راضيا عن نجاحه
- محتقرا ممتحنيه

سوار من الخيط

وضعه أحد الفراشين حول معصمه فى ذراعه اليمنى

أخبره أخوه أنه علامة اجتيازه الاختبار

وبعد أسبوع الكشف الطبى

شعوره:

- ابتهج به
- لأنه دلالة على نجاحه

الامتحان الطبي

أشفق أن يدعوه الطبيب أقبل يا أعمى ولكن الطبيب لم يدع أحد

قال عمره خمسة عشر عاما وانتهى الأمر

وهو لم يبلغ هذا السن فعمره ثلاثة عشر

شعر بشك مؤلم لذيذ: فى أمانة الممتحنين وفى صدق الطبيب

محمد طارق

الفصل السابع

قسوة الوحدة

الصبي

: يستقل العلم - يستقل الوحدة - كان يودّ (الحركة أكثر - الكلام أكثر - العلم أكثر)
أخيه: ثقل عليه (اضطراره قود الصبى إلى الأزهر - أن يترك الصبى وحده)
فلا يستطيع (أن يفعل غير هذا - ترك أصدقاءه ودروسه - ملازمة الصبى)

الامتحان

بلغت المشكلة أقصاها بهذه الدعوة
عندما قبلت الجماعة دعوة السمر لصديق سوري
لا يسكن الريح - ولا يسكن الحى
بعد صلاة العشاء عادوا من درس الإمام ليخففوا مما يحملوا
هيأ الفتى الأزهري الصبى للنوم كل ليلة
وأطفأ المصباح واتجه للباب وقبل أن يبلغه
أجهش الصبى بالبكاء فلم يملك نفسه
أكبر الظن أن أخاه سمع بكاءه
ولم يغير رأيه ومضى فى وجهه

اعتذار صامت

فى الصباح قدم الفتى الأزهري للصبى بعض الحلوي
اشتراها له وهو عائد من سمره
فهم الصبى عن أخيه وفهم أخوه عنه، ولم يقل أحدهما شيئا

صمت الأخوين

الصبى: لم يتحدث إلى أحد
أخيه: لم يتحدث إلى الصبى ولكنه تحدث إلى أصدقائه غير مرة

خبر سار

مضى يوم ويوم
وصل كتاب إلى الحاج فيروز وفتحه الفتى
فعلم بمجئ ابن خالته طالبا للعلم
فأخبر الصبى أنه سيجد مؤنسا ورفيقا

محمد طارق

الفصل الثامن

فرحة الصبي

ابن خالة الصبي

رفيق صباه
وصديقه المفضل
ويزور الصبى ويقضى معه الأشهر

شعور الصبي

المساء: راضيا مبتهجا - لا يفكر إلا فى الغد
الليل: لم يسمع له صوتا - ولم يحس لها حركة - و كان الصبى أرقا فرحا مبتهجا - يتعجل الوقت يستبطئ الصبح
درس الحديث: سمع صوت الشيخ وهو يتغنى بالسند والمتن - ولم يلق له بالا ولم يفهم عنه شيئا
درس الفقه: استمع له فلم يجد مفرا - لأن أخوه أوصى به الشيخ - و كان الشيخ يحاوره ويناظره فيضطر للفهم
الضحى: كان هادئا قلقا - هادئا فى الظاهر فكان يكره أن يفهم أحد أنه تغير - قلقا فى دخيلته يتعجل الوقت ويستبطئ العصر وقت وصول القطار
العصر: لم يبق بينه وبين ابن خالته إلا وقت انتقاله من المحطة إلى الربع
لا يتردد الصبى فى معرفة صوت قدميه
فيلقى عليه سلاما ضاحكا ثم عناقا ضاحكا
العشاء: كان دسما لأن ابن خالته حمل الطرف والزاد
والأصدقاء جميعا يشاركون فيه
يخلوا لأنفسهما عند ذهابهم لدرس الإمام

فكانا يتشاركان في

اللعب - الصلاة - القراة فى كتب القصص - التنزه على حافة الإبراهيمية
- حلمهما فى الذهاب للأزهر طلبا للعلم
وشاركه: الانتظار - الغضب - الحزن - البكاء لأن الفتى يرى أن الوقت لم يحن

النتيجة

تغيرت حياة الصبى كلها
فذهبت عنه العزلة حتى رغب فيها أحيانا
كثر عليه العلم حتى ضاق به أحيانا

الفصل التاسع

تغير حياة الصبي

تغيرت حياته المادية

حيث هجر مجلسه فى الغرفة
فلا يعرفه إلا عند النوم أو الطعام
يومه:
يقضى أكثره فى الأزهر والمساجد التى حوله
استراح من درس الفجر
يدخل الغرف ليتخفف من عباءته ويجلسان فى ممر أمام الغرفة
فكانوا يلهوان - ويقرءان - ويفزعان
لما يحدث فى الطبق السفلى
يسمع أحدهما ويري الآخر
النتيجة:
عرف الصبى الربع أكثر
عاش جهرا بعد أن كان يعيش سرا

في الأزهر

واظب على دروس الشيخ المجدد المحافظ
طاعة لأخيه- وإرضاء لنفسه -و كان يطمع فى سماع لغيره
فقررا أن يحضرا شرح الكفراوي
لاشتياقه مزيد من العلم
كان يسمع عبثا وسخطا عليه فيرغب فيه
أعجب بإعراب الأوجه التسعة للبسملة
فكان يتعلم فى درسه القديم
ويلهو فى الجديد بـ الإعراب المتصل - صوته المضحك
فكان الشيخ يغنى وغناؤه لم يصعد من صدره وإنما يهبط من رأسه
درس المنطق: بعد صلاة المغرب تقليدا للكبار - تقليدا للكبار وللتباهى به

الطريق

سلك نفس طريق أخيه متحدثين
بالجد مرة - وبالهزل مرة
انحرف عن حارة الوطاويط القذرة إلى شارع نظيف
ثم شارع سيدنا الحسين فعوده ابن خالته قراءة الفاتحة
خصص الشيخ الفتى نقدا لا يتجاوز القرش كل يوم
فيمتعوا أنفسهم بشرا البليلة لأنهما
كانا يحبان أكلها فى الريف - لذيذة تنشط الجسد لطلب العلم
فرغم قلة المصروف كانا يستمتعان بمختلف الطعام
التين - الزبيب - الهريسة - البسبوسة

صفات شيوخه

شيخ القديم الجديد:
يشرح كتاب شرح الكفراوي
من أقصى الصعيد فمحتفظ بلهجته
يقرأ ويسأل ويرد فى عنف سريع الغضب
يشتم من يسأله وإذا ألح السؤال
لكمه إن كان قريب
رماه بالحذا إن كان بعيد
حذائه:
غليظ ملئ بالمسامير
فكرطه إذا جاء فى وجه أحد
فلم يسأله أحد خوفا منه
لذلك أتم شرح الكفراوي قبل الجميع
شيخ المنطق:
يري نفسه عالما ولم يعترف الأزهر بالعالمية
فكان يغيظهم بالجلوس إلى أحد الأعمدة لتعليم صغار الطلبة
لم يكن بارعا فى العلم ولا التعليم
لم يكن يجرؤ أن يشتم أو يضرب فلا يحق ذلك إلا للعالم

الإفطار

كانوا يستلمون أربعة أرغفة
رغيفان للفطار - ورغيفان للعشاء
فيشترون الفول النابت بملمين ونص وحزمتين كرات بنص مليم
فبذلك أرضوا أجسادهم وتبقى إرضاء عقولهم

أقبلت الإجازة

انقضت السنة الأولى ودروسها سريعا
واشتاق للإجازة وحن للريف
ومع ذلك أراد أن يمتنع عن الرحيل
فكان صادقا لأنه احب القاهرة وكره الرحيل .
و كان متكلفا لأنه أراد أن يظن به الاجتهاد كأخيه
ركبا القطار وبعد محطتين نسوا القاهرة و الأزهر والربع

محمد طارق

الفصل العاشر

تمرد الصبي

تغيرت حياته المادية

لم تكن الأسرة أنبئت بعودتهما
لم يجدا فى المحطة أحد
وجمت وفوجئت الأسرة عندما دخلوا
(أمه قبلته - واحتضنه إخوته - وقبل يد أبيه)
لم تعد لهما عشاء خاصا
تمنى الصبى أن يستقبل كأخيه
نام الصبى يكتم الغيظ وخيبة الأمل

الحياة كما هي

كأنه لم يجلس للعلماء ولا درس العلوم
الكتاب:
يذهب إليه ويقبل يد سيدنا ويسمع كلامه الفارغ
أصدقائه:
لا يشعرون بغيابه
ولا يسألونه عما درس
يلقونه كما كانوا يلقونه قديما
أهل القرية
لم يقبل أحد إلى الدار ليسلم عليه - وإذا قابله أحد يسأله فى فتور
(ها أنت ذا؟ - أعدت من القاهرة؟ - ويهتم ويرفع صوته إذا سأل عن أخيه

شعوره

أحس أنه ضئيل الشأن
لا يستحق عناية ولا سؤال
فأذى ذلك غروره فصمت وانصرف إلى نفسه

النتيجة

لم يطق صبرا فقد احتمل الكثير
فأخذ ينفر مما كان يحب
ينكر ما كان يعرف
يتمرد على من يظهر له الخضوع
كان صادقا فى البداية ثم تكلف

التمرد على أبيه

سمع أباه يقرأ دلائل الخيرات فوصفها بالعبث
زجرته أخته الكبرى فسمع الشيخ
وحين أنهى سأل ماذا كنت تقول فأعاد عليه قوله
قال أبوه هذا ما تعلمته فى الأزهر
قال الصبى نعم وأن التوسل بالأولياء لون من الوثنية
غضب الشيخ وهدده بمنعه الذهاب للأزهر ويقرأ القرآن فى المآتم والبيوت

ينسى الأب ذلك:

فيسأله عن الفتى الأزهري
فيجد فى ذلك متعة فى السؤال والجواب
فيجيبه الصبى ولا يبخل كما كان يفعل الفتى
فيفخر الشيخ أمام أصحابه بهذه الأجوبة
و كان الصبى يخترع أحداثا ليرضى أبيه
و كان يسأله كل عشاء وفى مرة قال له
ينفق نهاره فى قراة دلائل الخيرات
فتغرق الأسرة فى الضحك حتى الشيخ
وأصبح الموضوع لهو الأسرة أعواما

جاوز التمرد الدار فوصل إلى

مجلس الشيخ
د كان عبد الواحد
وإمام المسجد الشيخ محمد أبو أحمد
الشيخ عطية
المحكمة الشرعية فرأى أنه
أفقه من القاضى
وأحق بالقضاء منه
الفارق بينهما ورقة تسمى العالمية

أهل القرية

سمعوا بمقالات الصبى وتحريمه التوسل بالأولياء والأنبياء
فوصفوه بـ
الضال المضل
سمع مقالات الإمام الضارة
سعى بعضهم إلى مجلس الشيخ ليروا الفتى
يبدأ الحديث
رفيقا فى أول الأمر
ثم يصبح عنيفا
فكان محاوره يتصرف
غاضبا متحرجا
يستغفر الله ويستعيذ من الشيطان
شعور أبيه:
كان يرضى هو وأصحابه عن هذه الخصومات
كان أشد الناس سرورا بابنه رغم أنه لا يؤمن بما يقول
لكن كان يحب أن يرى ابنه منتصرا على محاوريه

حقق الصبي هدفه

حيث انتقم لنفسه وخرج من عزلته
شغل الناس فى القرية والمدينة به
تغير مكانه المعنوي فى الأسرة
فلم يهمله أبوه
ولم تعرض عنه أمه وإخوته
ولم تقم الصلة بينهم على الرأفة والرحمة
انقطع تهديد أبيه بمنعه عن الأزهر
فرأى الصبى نفسه وصاحبه فى المحطة وأبوه يجلسه ويدعو له
واستقبله الفتى الأزهري وركب عربة متجهة للريح

الفصل الحادي عشر

إقبال الصبي على الأدب

رجوع الصبي

رجوع الصبى: عندما وصل الصبى القاهرة سمع ذكر الأدب والأدباء كما سمع العلم والعلماء
فسمع الصبى عن الشيخ الشنقيطى وعن أعاجيبه و كان يجد الاسم غريبا
وحماية وبر الأستاذ الإمام له

الشيخ الشنقيطي

صفاته:

ليس له مثيل فى حفظ اللغة والحديث متن وسند
حاد الطبع سريع الغضب لسانه لا يطاق
يضربون به المثل لحدة المغاربة.
له مكتبة غنية بالمخطوط والمطبوع فى مصر وأوروبا
لا يقنع بمكتبته فينفق وقته فى دار الكتب قارئا أو ناسخا
كان يدرس المعلقات
له آرا غريبة كصرف عمر

عمر:

رأيه أنه مصروف لا ممنوع من الصرف
اجتمع الشيوخ وطلبوا أن يعرض رأيه فى صرف عمر
وافق بشرط أن يجلسوا مجلس التلاميذ من الأستاذ
تردد الشيوخ إلا واحد منهم ماهرا ماكرا
قال الشنقيطى : قال الخليل بأيها الزاري على عمر
قال الماكر: رأيت الخليل يقول بأيها الزاري على عمر
فقال الشنقيطى غاضبا : كذبت كذبت لقد مات الخليل من قرون
فضحك المجلس وتفرق دون القطع فى الأمر

الصبى:

لم يفهم شيئا ولكن سرعان ما فهم
عندما تقدم فى دروس النحو وفهم المصروف والممنوع

فكان اتصاله بالأدب

مضطربا مختلطا
جمع فى نفسه خليط من الشعر والنثر
ولكنه لم يفرغ له
كان يحفظ منه كلما تتاح له الفرصة

الصبي والأدب

المعلقات: كان يدرسها الشيخ الشنقيطى
و كان أخو الصبى يسمع له وفى البيت يردد الأبيات بصوت عال ..
فحفظ الصبى معلقتين مع أخيه.
امرئ القيس وطرفة بن العبد ولا يفهم إلا القليل.

صناعة الإنشاء:

كان يدرسها شيخ سوري من خاصة الإمام ..
أقبل عليه الشباب واشتروا الدفاتر وكتبوا الموضوعات
ثم تركوه كما فعلوا مع المعلقات.

مقامات الحريري:

رفع أخو الصبى بالقراة.
حتى حفظوا عشر مقامات

نهج البلاغة:

وهى خطب للإمام على .
حفظ مع أخيه طائفة منها ...
مقدمات الهمزانى حفظ مع أخيه عددا منها .

بيت أبى فراس:

كان يخطئ أخوه فى بعض أبياتها ...
مثل
أرى أن دارا لست من أهلها قفر

فيقول :

أرى أن دار الست من أهلها ...
والصبى يري من الغرابة أن تأتى كلمة الست فى الشعر

ديوان الحماسة:

يدرسها الشيخ المرصفى فى الرواق العباسى
أعجبوا بهذا الدرس ولم يعودوا حتى اشتروا الديوان.
واشترى أخو الصبى شرح التبريزي للديوان ...
يري الصبى دراسة الديوان تختلف عن أصول الفقه
ولكن الفتى الأزهري يقرأه على نفس النحو

صفى و الشباب

أعرضوا عن المرصفى:

لم يروه درسا جدا.
لم يكن من الدروس الأساسية ،
فكان الشيخ يسخر منهم.

ساء ظن الشيخ بهم :

فرآهم غير مستعدين للدرس...
لأنه يحتاج إلى الذوق ولا يحتمل الفتقلة.

ساء ظنهم بالشيخ

فرأوه غير متمكن ولا بارعا فى العلم الصحيح ...
فهو صاحب شعر ينشد ونكت تضحك

ولكنهم حرصوا عليه لأن.

الشيخ كان مقربا من الإمام
و كان ينشئ قصيدة فى مدح الإمام .
ويمليها على الطلاب ويحفظونها ...
ولكنهم لم يطيقوا عليه صبرا فانصرفوا عنه.

الشيخ المرصفي

المرصفي والصبي

سمع الصبى أنه سيشرح المفصل للزمخشري فى النحو
و كان الصبى قوي الذاكرة يحفظ كلام الشيخ
و كان يعيد عليه :
تفسيره
قصصه
نقده لأبى تمام
تصحيحه
أحبه الشيخ :
فوجه إليه الحديث
ودعاه أن يصحبه إلى باب الأزهر
ثم إلى بعض الطريق
ثم إلى قهوة فجلسوا فيه

نقده

كان نقده لاذعا وتشنيعه أليما
فينقد الأزهر ومناهجه وأساتذته
فأثر فى الصبى أعمق تأثير

منهجه في تدريس الأدب

نقد حر لـ
للشاعر أولا - للراوى ثانيا - للشرح بعد ذلك - واللغويين
امتحان فى تذوق الجمال فى
(الشعر والنثر - المعنى - الوزن والقافية - مكان الكلمة بين أخواتها)
موازنة بين
غلظة الذوق الأزهري ورقة الذوق القديم
ضعف العقل الأزهري وذكاء العقل القديم
وينتهى من هذا إلى
تحطيم القيود الأزهرية
الثورة على علم وذوق الشيوخ
و كان محقا أحيانا ويدعى بالباطل أحيانا

بيته

متهدم خرب قديم
فى حارة قذرة حارة الركراكي ..
به دكة أسندت إلى حائط يتساقط منه التراب...

صفاته

يتصنع وقار العلماء أمام الناس ...
وإذا خلا لأصدقائه فكان أديبا
فتحدث بحرية عن كل إنسان وكل موضوع .
وعن القدماء شعرهم ونثرهم.
الصبر على المكروه والرضا بالقليل
يستحى أن يقبض راتبه فلا يتعافف على الصراف كخيره ..
رغم فقره
كان صورة للغني الوقور
مطمئن النفس والقلب.
كان يأكل خبز الجراية بالملح أسابيع.
ولذلك كان مثلا أعلى لتلاميذه.

أسرته

أمه :
امرأة محطمة
كادت رأسها تبلغ الأرض من الانحناء.
كان بارابها ..
فرآه الصبى وهو يطعمها بيده ....
يعلم ابنه تعليما ممتازا.
يدلل ابنته تدليلا مؤثرا.

أخطائه

عندما تولى الشيخ الشربيني مشيخة الأزهر
مدحه بقصيدة سماها ثامنة المعلقات
وعرض بالإمام
رده تلاميذه فى رفق...
فاستغفر الله من خطيئته.
حين هم فتى لقول شئ لنقد الأزهر
قال : لا لا عاوزين نأكل عيش.

محمد طارق

تابع المرصفي

تلاميذه

كثروا حوله فى البداية لكنهم تفرقوا إلا قليلا
بقى ثلاثة
كونوا عصبة صغيرة تسامع بها الطلاب والشيوخ
عرفوا بالثورة على الأزهر وتقاليده
قرءوا الكتب القديمة وفضلوها على كتب الأزهر
مثل
كتاب سيبويه
كتابى عبد القاهر الجرجاني
وشعر المجون جهرا
تجمع حولهم النشء فأغاظ ذلك الطلاب الكبار

رد فعل كل من

المرصفى :
سخر من شيخ الجامع بائع الحلل فى ترياقوت
لأنه كان ينطق السين ثاء لفقد أسنانه) .
وأخذ يقرأ كتاب المغنى لابن هشام
حاول الصبى وصديقاه الاستنجاد بالشيخ بخيت
فأغضبوه
لدفاعهم عن كتاب الكامل.
فيرى الشيخ أن من يقرأه آثم
صاحبى الصبى :
أحدهم آثر العافية وانتظر حتى تهدأ العاصفة.
الآخر قص الأمر على أبيه فتوسط له.
الصبى: أصر على عناده وعبثه بالشيوخ
قال أخوه له: ستجنى ثمرة العبث وستجدها شديدة المرارة ..

المحنة

رفع الطلاب الكبار الأمر لشيخ الجامع حسونة
فذهبوا واجمين لا يفهمون شيئا
فوجدوا الشيخ بخيت وبقية الأعضاء
فجاء طالب ماهر
فاتهمهم بالكفر لمقالتهم فى الحجاج
وأنهم يعيبون فى الشيخ بخيت وبقية الأعضاء
وشهد آخرون بذلك ولم يكروا مما سمعوا شيئا
النتيجة :
أمر رضوان الفراش أن يمحو أسماءهم من السجلات
وألغى درس الكامل الذي كان يدرسه المرصفى
ونقل المرصفى من الرواق العباسى إلى عمود

نهاية المحنة

ذهب الصبى لينشر مقالة يهاجم شيخ الأزهر
تلقاه المدير بعطف وقرأ المقال ودفعه لصديق
فقال الصديق هذا المقالة وحدها تكفى لعقابك.
أتريد أن تشتم الشيخ أم يرفع عنك العقاب.
قال الصبى يرفع على العقاب
وما لبث أن تبين أن لم يمح أسماءهم وذلك لتخويفهم فقط
اتصل الصبى بمكتب مدير الجريدة.
فاتصل ببيئة الطرابيش ...
بعد أن مل بيئة العمائم